«تسوتسي» كأفضل فيلم أجنبي:

حياة بائسة في أحياء جوهانسبيرغ تقود الى الإجرام

يحيى القيسي *

■ هذا عمل سينمائي متميز فاز بجائزة الاوسكار كأفضل فيلم اجنبي، وراح يزاحم بجماليات قصته وتصويره واخراجه افلاما كبرى في ميزانياتها، واسماء العاملين فيها من ممثلين ومخرجين، اما كاتبه ومخرجه فهو غافين هوود، واحداثه تدور في تجمع سكني فقير «غيتو» قرب جوهانسبيرغ في جنوب افريقيا، وهو ناطق بلغة الافارقة في تلك المنطقة، اما معنى اسمه «Tsotsi» فهو رجل العصابة او المجرم، وهذا ما نعرفه لاحقا عبر احداث الفيلم التي يكون فيها الشخصية الاساسية بهذا الاسم «تسوتسي»، ويقوم بدوره الممثل بريسلي شوينياغي، ونكتشف ان اسمه الاصلي ديفيد، وانه عاش حياة بائسة لوالد سكير قاس، وام مريضة، ولهذا خرج الى الشارع باحثا عن الحياة التي سرعان ما صنعت منه رجلا شريرا يعيش على السرقة والنشل والقتل ايضا، ثم نتعرف على افراد عصابته الذين يأتمرون بأمره، فهناك بوسطن، المعلم الفاشل موثوسي ماغانو، ومن يدعى بالقصاب الذي يقتل بدم بارد زينزو ناكوبي، والسمين الطريف كينيث نكوسي. ورغم ان الفيلم عن حياة قائد هذه العصابة تسوتسي وجرائمه، الا انه ليس فيلما عنيفا، او من افلام الاكشن الثقيلة بالمشاهد المتلاحقة، اذ العنف هنا مكثف في بضعة مشاهد، ذات دلالات غنية، ومؤثرة.

على اية حال فان بؤرة الفيلم كما اشرت هو تسوتسي ذو التسعة عشر خريفا، وما يعانيه من اشكاليات نفسية في تعامله مع الآخرين، وردود فعله غير المتوقعة، ذلك ان حياة تشرده في الطفولة تأتي هنا كاسترجاع حاد بين الحين والآخر، لتبين لنا كمشاهدين ملامح منا، تحكم اليوم سلوكه في كبره، ففي لحظة صدام مع رفيقه بوسطن، وبعد ان ضغط عليه ليكشف عن اسمه الحقيقي او يشرح معنى الاحترام والاستقامة، فان رده كان الانقضاض عليه واشباعه ضربا، وهجر رفقته.

لقطة من فيلم «تسوتسي» (القدس العربي)

غيتو اسود مزدحم

تدور احداث الحكاية كما اشرت بداية في تجمع بشري فقير، من بيوت الصفيح غالبا، وبعض المنازل المتواضعة، ويبدو سكانه على درجة عالية من الفاقة، وضعف الخدمات، ولا سيما المياه التي تضطر النساء للحصول عليها عبر نقلها من صنبور ماء واحد للحي بأجمعه، مما يجعلهن يصطففن في دور طويل، ونقلها في اوعية متنوعة، وتنقل لنا الكاميرا مثل هذه المشاهد بكل بؤسها، وكأننا في الحي نفسه بعيدا عن شعورنا باننا نشاهد فيلما سينمائيا، فالتماهي هنا واضح بين الواقع والفن.

تسوتسي يقود عصابته الصغيرة الى المدينة القريبة، ويبدأ بالبحث عمن يسرقهم او ربما يقتلهم طمعا في المال على الأغلب، وتصور لنا الكاميرا هذه العصابة وهي تختار رجلا قد وضع بعض المال في جيبه، وتلاحقه داخل المترو، وحين يحاول ان يعترض على من يمد يده الى جيبه وسط الزحمة، تأتيه سكين القصاب الرفيعة، لتنغرز في قلبه بكل هدوء دون ان يشعر به احد. في لقطة اخرى نتعرف على المشهد الذي اجرى تحويلا في حياة تسوتسي، فقد راقب احد المنازل في ليلة مظلمة، وسرق سيارة المرأة القادمة للتو الى البيت، وحين حاولت الاحتجاج اطلق النار عليها وهرب بالسيارة، رغم انه لا يتقن السياقة مما جعله يتخبط بها ذات اليمين وذات الشمال، وفي النهاية يتركها معطوبة على قارعة الطريق، وفيما هو يغادرها اكتشف طفلا رضيعا في الكرسي الخلفي، وعند هذه اللحظة بدأت الحبكة بالتأزم، ولا سيما وهو يضع الطفل في حقيبة ويأخذه معه الى البيت، هنا بدأ دون تخطيط في التورط بالتعامل مع عالم جديد، وتذكر طفولته البائسة، وهو يحاول ان يطعم الطفل او يتعامل مع صراخه، لقد بدأ الفيلم متقنا الى درجة عالية، وكأننا كما اشرت نشاهد حياة تجري امامنا بكل صدقها، وليس لقطات من فيلم.

تدخل مرحلة اخرى في حياة تسوتسي وهو يتابع امرأة شابة من حيه تدعى مريم

«تيري فيتو» وهي تحمل طفلها، وقد اقتحم بيتها عنوة، وطلب منها ان تطعم الطفل الذي جاء به في حقيبة دون ان يراه احد، وبالطبع لا توجد اية خيارات لامرأة وحيدة يقف امامها رجل عصابات وفي يده مسدس محشو، وخلال هذه العلاقة نتعرف على ان هذه المرأة ارملة، وقد قتل زوجها من قبل بعض الاشرار، الذين يشبهون تسوتسي، وبينما تتطور العلاقة بهدوء تظهر بعض الجوانب الانسانية في شخصية هذا المجرم، فيبدأ بالتفكير في اعادة الطفل الى حضن امه، وينتصر هذ الجانب في النهاية لكن يكون الثمن باهظا لهذه العودة، وعلى اية حال فان التفصيل قد يساهم في فقدان التشويق، ولهذا رغبت في هذه الاشارات فحسب، لكن هناك حكاية فرعية مؤثرة، ضمها الفيلم، وهي لقاء تسوتسي بالمتسول المقعد على عجلته، وذلك الحوار المؤثر الذي دار بينهما، في زاوية مهجورة من المدينة، فكلاهما ضحية، تسوتسي ضحية فقره وظروفه العائلية القاسية، وهذا الرجل ضحية عمله الذي قاده الى حادث قصم له ظهره، واقعده متسولا في الطرقات، ويبدو ان المخرج قد استطاع ان يشتغل على شخصيات حقيقية من الواقع لجعلها تقوم بأدوارها الطبيعية، وليس العكس اي الاشتغال على الممثل ليقوم بأدوار لأناس معينين. وعلى كل حال ففي لقاء تسوتسي والمتسول المقعد يبدو الفيلم قد بلغ مرتبة عالية من التميز، والقدرة على الدخول الى اعماق النفس البشرية واشكالياتها، وعلى كل فان كل شخصية من الشخصيات تبدو انها كما ذكرت طبيعية، وكأننا في مشاهد لفيلم وثائقي، وليس دراميا، بالطبع حفل الفيلم ببعض العناصر البوليسية، من رجال شرطة ومحققين، ولكن الامر كان مقبولا وضمن ما هو متوقع، ولم يتحول الفيلم الى فيلم اكشن ومطاردات مجانية بمبرر او بدونه، ومن جهة اخرى فهو فيلم مخصص للسود فكل الشخصيات فيه من السود، رجالا ونساء ما عدا محقق الشرطة الابيض، وربما لهذا الامر دلالة، فهذا الفيلم مخصص لمعاناة المجتمع الاسود، وليس للصراع بين الطرفين، وبما ان احياء السود فقيرة غالبا، فان ظهور الشخصيات السوداء كان مبررا، ومقنعا، ما دام الموضوع لا دخل له بمعاناة السود من البيض، وربما يأتي اختيار المخرج هذا بشكل ذكي لينقل القضية الكبرى الى مربعها الاول.

جماليات الاخراج

الفيلم المأخوذ اصلا عن رواية للكاتب اثول فوغارد جاء في 94 دقيقة، تميز بقدرة مخرجه على تقديم صياغة بصرية مدهشة، فاللقطات منتقاة بعناية، وستظل اللقطة الخاصة بالاطفال الذين يعيشون في الانابيب الاسمنتية الضخمة، كأنها بيوت من طبقات، فيما الامطار تهطل عليهم بغزارة من اللقطات النادرة التي تبقى عميقا في الذاكرة والوجدان، اضافة الى القدرة على تصوير المجتمع بأدق تفاصيله من داخله، وليس من الخيال، وربما تبدو صورة الطفل وهو يرضع من علبة حليب فيما النمل قد هاجم وجهه ايضا من الصور المؤثرة، والمبتكرة.

اما مسألة العناية بالجانب النفسي للشخصيات والتعبير عنها، فهذا امر كما اشرت كان واضحا، وربما يدلل ايضا على مدى قدرة الممثلين الاحترافية رغم انهم ليسوا نجوما معروفين بعد في الولوج الى اعماق هذه الشخصيات وتقمصها، دون ان يلاحظ المشاهد ذلك، فهو يرى شخصيات من الواقع تجري احداثها امامه، اما الموسيقى فهي حالة خاصة، استطاعت ان تواكب اللحظات الدرامية صعودا وهبوطا لتعبر عنها، وهي منسجمة مع طبيعة المجتمع، وتسمى «الكوايتو» وهي تعادل موسيقى الهيب هوب في المجتمع الامريكي، واضافة الى كل ما ذكرت يبدو ان ميزانية الفيلم ليست باهظة، ومع ذلك فاز بالاوسكار لافضل فيلم اجنبي، وربما مثل هذا الفيلم الافريقي يطرح السؤال لنا في البلاد العربية : لماذا لا يمكننا ان نصنع فيلما متميزا على المستوى العالمي مثله او افضل منه؟

والى متى تستمر السينما العربية ممثلة بالسينما المصرية في تقديم الافلام التجارية المستهلكة، التي لم تعد تقنع احدا في ظل التطور المتواصل للسينما العالمية شكلا ومضمونا، وفي عصر اصبحت فيه السينما اداة اتصالية بالغة الاثر على الناس، الا تكفي 111 سنة من انطلاق السينما لنقول لنا: يكفي تهريجا، ولننظر الى تجارب الآخرين بكل صدق ورغبة في التجديد؟

* كاتب من الاردن

ندوة احتفالية للشاعر خالد عبدالمنعم في ذكرى عشر سنوات على رحيله:

استعاد رومانسية المشهد الشعري وعاش بروح الطبقة العاملة التي ينتمي إليها

القاهرة ـ «القدس العربي»
ـ من محمود قرني:

أقامت شعبة شعر العامية باتحاد كتاب مصر ندوة تحت عنوان «ريحة الوفا» تخليدا لذكرى شاعر العامية الشاب «خالد عبدالمنعم» الذي رحل عن عالمنا في الأول من اب (أغسطس) عام 1994 عن عمر يناهز الثامنة والعشرين حيث ولد في احدى ضواحي القاهرة في الخامس والعشرين من تشرين الاول (أكتوبر) 1965، وقد أشرف على الأمسية شعراء العامية باتحاد الكتاب فؤاد حجاج، خالد محمود، طاهر البرنبالي، ممدوح طه، وخالد عبدالعزيز، كما شارك في الامسية الناقد الدكتور سيد البحراوي وكذلك شاعر العامية يسري حسان.

لم يصدر خالد عبدالمنعم سوى ديوانين هما «موسيقى التكوين» الصادر عن هيئة قصور الثقافة عام 1994، و«حمار البحر» الصادر عن دار شرقيات عام 1995.

ويعتبر خالد عبد المنعم واحداً من أوائل شعراء جيل الثمانينات في مصر الذي برز منه الشعراء ابراهيم عبد الفتاح الذي صادقه رحلة البدايات ومسعود شومان والراحل مجدي الجابري والشاعر يسري حسان.

وقد بدأ هذا الجيل كتابته في خضم التباسين أساسيين أولهما محاولة التأسيس التي قام بها سيد حجاب والتي نحت بشعر العامية الى منطقة اكثر مثاقفة وبالتالي اكثر نأيا عن لغة الزجالين والشعراء الشعبيين تحت إلحاح التعامل المتدني مع شعر العامية من قبل العامة والمؤسسة الرسمية على السواء، حيث كان هناك نظر راسخ لشعر العامية باعتباره الأدنى درجة في مواجهة شعر الفصحى، أما ثاني هذه الالتباسات فقد ارتبط بالحراك الذي ميز شعر الحقبة السبعينية الذي احتمى بالغموض والتشفير في معظم مراحله، وكان أمرا مغريا في البداية لكل الشعراء، بمن في ذلك شعراء العامية الذين أخذهم هذا التيار، فظل نصهم متعثرا لمدة ليست قصيرة.

وقد حاول خالد عبد المنعم منذ البداية ان يتجاوز مأزقه مع أقرانه وقد جاء ديوانه الأول موسيقى التكوين شديد الدلالة على شعرية تحتمي ببساطة شاعرها ورقته وعذوبته فاختار خالد عبد المنعم قاموسا شعريا شفافا تأتي التباساته من المعنى الشعري الوثاب الذي يسعى خلف التميز والاكتشاف، وقد تجلت روح المكان الذي تربى فيه خالد عبدالمنعم، حيث الملمح الشعبي لمدينة حلوان في أقصى تجليها، حيث لم تكن صورتها في الأذهان ترتبط بالطبقة العاملة الكادحة التي تمثل احدى المنجزات الناصرية بمصانعها العملاقة وإعمارها الذي توسع عبر ما يربو على الخمسين عاما.

كانت أنفاس العمال ونضالاتهم تلاحق في شعرية خالد عبدالمنعم ابن العامل البسيط الذي يقبع باولاده في قعر الطبقة المتوسط، وكانت هذه الولاءات حجر الزاوية الذي شكل رؤية خالد الفكرية فانتمى منذ التحاقه بالجامعة الى حزب التجمع وتبنته الكاتبة فريدة النقاش وقدمته في مجلة «أدب ونقد» وكذلك قدمته للحياة الثقافية المصرية.

غير أن خالد عبد المنعم عاد سيرة آبائه في ديوانه «حمار البحر» الذي بدت شعريته أكثر نضوجا وأكثر وحشة وأكثر قبضا على ريح الموت الذي ساومه مبكرا، لقد جاءت طباعة الديوان فعليا بعد رحيل خالد عبدالمنعم حيث قام أصدقاؤه على طباعة الديوان بعد أن باغته مرض عضال بالكبد لم يمهله أكثر من عدة أشهر.

وقد قال الشاعر فؤاد حجاج رئيس شعبة شعر العامية باتحاد الكتاب ان هذه الأمسية هي الثالثة بعد الاحتفال بالراحلين نبيه محفوظ وحجاج الباي، واضاف: تعالو لنتفق اتفاقا نهائيا بأن تقديم شعر الشعراء الراحلين أو الاحتفاء بهم وتخصيص استهلال كل أمسية لتقديم المختار من قصائدهم لا يعني بالمرة إشاعة روح التأبين بين الحضور، ولكن المقصود هو إصرارنا على وجودهم معنا رغم رحيلهم، ويبقى من المبدع ما تركه من أعمال وعلى من يؤمنون بقيمة الشعر في حياة البشر أن يجعلوها تتنفس بين الناس وتنعش ذاكرتنا جميعا بما تحمله من قيم جميلة وأهمها الوفاء.

أما الشاعر طاهر البرنبالي رفيق درب خالد عبدالمنعم فقال ان شعر العامية فقد برحيل خالد شاعرا متميزا بحق، هذا الولد فرعوني الملامح الباسم دائما الحاد والواضح في مواقفه تجاه العالم، لقد كان خالد صاحب رؤية أكثر رومانسية للعالم رغم احتمائه بالماركسية، ومع ذلك لم يفقد خالد قدرته على الالتحام بواقعه بل اكتسب على الدوام قدرة على جموح الخيال الشعري وابتكار الصورة الشعرية. ويختتم طاهر البرنبالي شهادته بالقول: لن أنسى ما حييت تجربته المرة مع المرض في أيامه الأخيرة، لن أنسى إفاقة خالد من الغيبوبة قائلا لمن حوله: «فؤاد حداد قال: دهب الحريم عيط عشان يفديه، قال كده وهو بيرثي محمد عبيد، مش كده ياطاهر، قول لهم، إنت الوحيد اللي عارف ان اللي باقوله صحيح».

أما الشاعر خالد محمود فيقول: في أغلب الأحيان تختلف السيرة الإنسانية للشاعر عن سيرته الإبداعية، فأحيانا تغلب السيرة الإبداعية على سيرته الإنسانية أو العكس لكن خالد عبدالمنعم من الشعراء النادرين الذين لا تختلف هويتهم الشعرية عن هويتهم الانسانية».

فهل بذلك نطوي صفحة في كتاب شعر العامية في مصر؟!

أعتقد أن ما تركه خالد عبدالمنعم وما قدمه أقرانه كان ولا يزال معبرا بشدة عن مأزق جيل بكامله يعد بأن يقدم الكثير لشعر العامية رغم العثرة التي دخلها مع تواتر نماذج لقصيدة النثر العامية التي قدمت بعض النماذج القليلة الناجحة لكنها لم تنجح حتى الآن في اكتشاف بدائل حقيقية لجماليات الراسخ والمتواتر.

«لازم تعيش المقاومة» امسية شعرية غنائية افتتاحها فلسطيني واختتامها لبناني

■ القاهرة ـ ا ف ب: نظمت على خشبة مسرح الهناجر في القاهرة مساء الاربعاء امسية شعرية غنائية بعنوان «لازم تعيش المقاومة» بمبادرة من الفنان محمود حميدة تضامنا مع الشعبين الفلسطيني واللبناني. وكان الافتتاح فلسطينيا. فقد احتل علم فلسطيني كبير خلفية المسرح ليتم رفعه بعد دخول افراد الفرقة الموسيقية والكورال والممثلين الذين قاموا بالقاء اشعار الشاعر الشعبي الراحل فؤاد حداد ومتولي عبد اللطيف والتي اعدها للمسرح امين حداد.

ومن القصائد التي القيت «حيوا الشام» و«شمس الشام الدبلانة» ثم حوارية مفتوحة عن الشاطر حسن الذي قاد المعارك ضد الاعداء رافضا ذل السلطان الذي هيأ نفسه ورجال دولته للهرب من المواجهة وتسليم البلاد للاعداء.

وحمل هذا المشهد الذي شارك فيه الفنان محمود حميدة وابنته اية وسامية جاهين ابنة الراحل صلاح جاهين واحمد امين حداد حفيد فؤاد حداد واخرين «اسقاطات تاريخية على المقاومة الشعبية الفلسطينية واللبنانية وانظمة الحكم العربية المستسلمة» كما اشارت الناقدة والكاتبة المسرحية رشا عبد المنعم.

واختتمت الامسية باغنية من اشعار حداد كان لحنها الراحل سيد مكاوي شارك العديد من الحاضرين الذين غصت بهم القاعة في غنائها وسط تصفيق حاد لاهم المقاطع فيها «ازرع كل الارض مقاومة /ترمي في كل الارض جذور/ ان كان ظلمة تمد النور/وان كان سجن تهد السور/ كون البادىء كون البادىء/ كل فروع الحق بنادق/ غير الدم ما حدش صادق/ من ايام الوطن اللاجىء/ الى يوم الوطن المنصور».

واختتمت الامسية بخروج افراد الكورال والممثلين والفرقة الموسيقية واسدال العلم اللبناني على مقدمة المسرح في اشارة الى الترابط بين القضية الفلسطينية والمقاومة اللبنانية.

يشار الى ان الامسية سيتم تنظيمها على مدار ثلاثة ايام تنتهي يوم غد الجمعة.

نص

الهنود يرحلون نحو الشرق

حسين سليمان*

■ اوقف الهندي عربته في الساحة وطفق يوضب اغراضه على عجل كي يحملها على طريق المراصد. الطريق شبه ملتو، يمر مرة جانب البحر ومرة ينعزل ويبتعد كي يمسي وحيدا.. هناك رمل وزرقة ويسمع بين الفينة والاخرى ضجيج المياه.

دفع العربة امامه وهو يقيس الرحلة القادمة، ولا شيء سيذكره بالماضي الذي راح يتركه.

ماذا سيترك خلفه؟! لم ينظر الى الخلف. وكانت العربة تدور وتهز ذكرياته التي لا تريد ان تعلق في مكان واحد. المكان هو هنا، الهندي الأحمر يشير بالسهم نحو صدغه ونحو قلبه اي ان هناك حالة وجد. يترك شيئا في قارعة الطريق. العربة تئز وتجوش مياه ساخنة وكأنها ستنكسر تحت ثقل الديمومة.

اقتربت منه عربة مهلهلة، بها فتاة تركت بلدتها من دون تحضير. في محفظتها دفتر ديون واوراق فيها اسماء. وعلى يدها وليد الساعة يبكي لأن المسافة لا تنتهي.

فسألها ان تربط عربتها مع عربته حتى يتساعدان. عربتان.

المسافة لا تنتهي، يقول وهو يضع يده ظلة وينظر نحو الافق.

يقطعان الاميال، ثم يقفان. يوقد لها قليلا من النار من اجل الشواء. ويذهب على قدميه يتحرز كي يصطاد عجلا بريا.

هل تعيش العجول البرية هنا؟ تسأل الفتاة وهي تقضم اللحم والعظم وتطعم الوليد قليلا منه.

فيجيب وفمه يقضم: غدا سوف اصطاد لك من البحر.

ثم بحياء ـ بعد استراحة القيلولة ـ يستيقظ الهندي على رائحة القهوة وهو يسأل: هل تتزوجينني؟

ما زال الطريق مسافة ويريد صبرا.

على نحو بضع مئات من الامتار يريان عربة مكسورة لأسرة متعبة، اضناها الطريق واشعلت الشمس حريقها في القلوب. تسأل ان كانت العربتان ستحملهما المسافة المتبقية.

المسافة طويلة، كان عليكم قبل الرحلة ان ترمموا العربة وتجددوا الحصان. لكن ليس باليد حيلة.

فصعدوا العربة وراحت الاخيرة تنوء وتصر كأنها من نبات القصب.

ينظر بين فترة واخرى نحو الفتاة كي يقول لها: انها ثقيلة.

ثم السمك.

الماء مياه البحر الهائل يبرد ويقرقر

ولا احد يدري ما يجري في داخله

يرفع رجل غطاء الخباء وهو ينظر نحو الارض كيف تدور تحت عجلات العربة. انها ثقيلة وتضرب على مهل بحيث تطبع في كل مرة أثرا وأثرا وأثرا.

من بعيد

كل الاماكن، كل المعالم، من بعيد كومة رجال قاعدين ينتظرون قافلة.

بينهم رجل يبكي، لقد سمعه الهندي، يهز جسده بحزن على شيء مبهم، يضع يدا على قلبه والاخرى على جبهته، يتأوه: واه واه واه. فيخشع قلب الهندي، يقف، يقول للحصان ويهز شكيمته ان يحمل هؤلاء الرجال المقطوعين. فلولاه لماتوا.

تئز العربة، تصر، وترسم الاثر بقوة حيث انه اثر حجارة وحديد، لا يمكن محوه.

كلهم هنود، ولنسيان ما حدث وللتسلية يرسمون في الطريق سحرا وطقوسا كانوا تركوها في منازلهم هناك. وينفخون الموسيقى في قربات اعدوها من جلد الحيوان الثقيل الذي اصطادوه الف مرة.

هناك تلة. مرت امامهم تلال، تشبه هذه الاراضي بلادنا. فراحوا ينوحون مما جعل الهندي يومئ للحصان بالتوقف، هذه تشبه بلادنا فراح الحصان ايضا يهز قوائمه ويضرب قامته. كل شيء كائن وهو لا يرضى ان يهيم على وجهه من دون تبيان. الحصان. يجب التوقف قليلا والتفكر قليلا يجب... يجب.... لماذا يركب الهنود الحمر عربة؟!

يقص هندي معمر قصصه، وتظهر في وجهه صور جبال تركوها، تظهر في وجهه صور الثلج حيث يتساقط فوق كولارادو الآن ومناطق الشمال الآن ويتساقط فوق مونتانا الموغلة حتى اونتاريو كندا.

هناك! يرفع ذراعه يشير. الا انه بعد قطع هذه المسافة الشاسعة لا يدري ان كانت هناك هي الهناك التي يريدها ام لا. فيخفض ذراعه مترددا، ربما نحو مكان آخر. نحن درنا دورة شبه كاملة من الغرب الى الشرق فضاع المكان.

تأتي نجمة، نجمة هندية، تنحدر بضراعة من السماء، تخر، كي تضرب شيطان الارض.

يجب النوم ثم عند الصباح نصعد الارض وندحل.

الفوا اغانيهم، اغانيهم. ان يغنوا. والفرس والعربة والرجل الذي يقول ان الطريق لم يعد طريقا.

لكن الفتاة تهز وليدها وتغني بصوت فيه بحة الصباح الباكر.

الرجل الذي كان ينوح واه واه ينزل من العربة ويضع أذنه عند تراب الطريق ينصت الى صوت قادمين يلوحون من بعيد كأنهم عشرة او ربما عشرون رجلا مع نسائهم واطفالهم. فيأتي ويوشوش الهندي قائلا: انهم اكثر من خمسين نفرا. كيف تحملهم؟

فيقف ويفكر. يجب.. يجب.. ان نبني خيمة هنا. ونؤلف قبيلة ناجية راحلة نحو هناك.

يجتمعون، تنخلق الاصوات وتنخلق العذابات والتي تجعل الذكرى مباحة.

النساء والاطفال والعجز، الاشياء المكسورة في حياتهم، الاجنحة المهيضة تتبع اثر رجالها الذين ظلوا على قيد الحياة.

تغني وتداعب احلام الوليد، وتغني الحبيب الذي وقف يصارع حتى خر امامهم اما هي فكانت قد شدت قلبها وحملت وليدها تريد النجاة.

غنت احلامها: سوف نصل الى المكان الآمن.

لكن اين هو المكان الآمن؟ يسألها الهندي الاحمر الذي يستشرف المستقبل. وهل تتزوجينني؟

حتى وصلوا.

قطعوا البحر.

قطعوا البلاد.

قطعة قطعة. مساحة.

رؤية. تاريخ.

هنا مكاننا الجديد حيث نحن البعيدون عنهم. لن يقربونا مرة اخرى، فلهم ذاك المكان ولنا هذا المكان.

ان ارادونا فسيقضون اياما واسابيع كي يصلوا الينا.

ولن يصلوا الينا لانهم سيضيعون...

ونحن هنا في اقصى الارض وهم هناك.

لن يصلونا ولن يريدونا مرة اخرى حتى لو كنا على أرض من ذهب.

لكن الهندي الاحمر الذي يستشرف المستقبل رأى ان هذا الكلام غير صحيح وستثبت الايام القادمة انهم سيصلون في يوم واحد، ستثبت الايام القادمة انهم سيفعلونها مرة اخرى.

لكنه وهو يلتفت نحو الفتاة: هل ستتزوجينني؟ فنحن لن نرحل مرة اخرى ان قدموا.

* كاتب من سورية يقيم في امريكا